قدري قلعجي

أساطير الأمم

مكتبة الطالب

منشورات « دار المكشوف »

بيروت * ١٩٤١

شاعر فى الجحيم

منذ ماتت اوريديس شاعت السعادة في قلب زوجها اورفه، لانها لم تكن لتكف عن ازعاجه بثرثرتها الفارغة، وتوبيخه على كسله وانصرافه الى العزف على القيثارة، بدلا من ان يعمل جاهداً لتوفير اسباب الهناء لزوجته وتزيين جيدها وذراعيها بالحلي والمجوهرات .

كان اورفه يعاني من ثرثرة اوريديس نصباً ، ويتحمل دلالها بصبر ، فلما قضت نحبها اذ عضها الثعبان ، شكر للقدر تلك الحادثة التي ذهبت بزوجه الى الجحيم ، وشكر لها ثانياً انها فتحت له المجال لنظم القصائد الخالدة في رثاء اوريديس .

وشرع اورفه يبكي زوجته بالشعر البارع والموسيقى الشجية ، فذاعت مراثيه في كل مكان ، ورددها كل لسان ، ودمعت لها العيون التي لا عهد لها بالدمع . وكان اورفه سعيداً كل السعادة ، لانه تخلص من زوجته البغيضة ، واتخذ من موتها موضوعاً فنياً شاع في الآفاق القصية ، وخلّد اسمه

على الايام .

وكان يغالي ، شأن الشعراء ، في وصف زوجته ، وحبه لها ، وحزنه على فقدها ، ويتوسل الى الالهة ان يرفقوا به ، ويعيدوا اوريديس الى قيد الحياة . فرقت له قلوب الالهة ، وجاء ابولون يوماً فقال له :

ـ ان اناشيدك قد اثرت في قلب جوبيتر ، رب الارباب ، فسمح لك بالذهاب الى الجحيم لتعود من ثم بزوجك .

فارتاع اورفه للنبأ ، لانه كان يكره ان تعود اوريديس الى مضايقته ، ويخشى الدخول الى ظلمات الجحيم . ولكنه لم يجد بداً من الاذعان للامر ، كيلا يدع لمنافسيه مجال الطعن في عواطفه وصدق الفن الذي أثر عنه . فحمل قيثارته وسار الى الجحيم ، واخذ يتنقل في كهوفه على غير هدى ، والظلمات تكتنفه من كل صوب ، والافاعي السوداء تروعه بفحيحها ، والوحوش الكاسرة تهم بالانقضاض عليه ، وهو يعدو من مكان الى آخر ، في البحث عن الزوجة التي لم يكد يصدق انه نجا منها الى الابد حتى عاد ليأخذها راغماً وعرض نفسه للموت لكي ينقذها من الموت .

وما لبث الزبانية ان شعروا به فاقتادوه الى حضرة بلوتون ، سيد الجحيم ، فانتبه اورفه لقيثارته وانشأ يعزف اشجى مراثيه ،

فلم يكن من بلوتون الا ان صرخ في وجهه :

— كفى ايها الشقي ! ألا تكفيني اقامتي في هذا الجحيم ، لتزيدني حزناً بمراثيك ؟ انا بحاجة الى اللهو فاعزف لي لحناً مفرحاً يجلب السرور الى قلبي .

فقال اورفه في سره : « ان هذا الاله مظلم البصيرة فهو لا يميل الى الفن الرفيع » . ثم انشأ يعزف لحناً مفرحا اثار الحاضرين فاخذوا يصفقون ويرقصون ، حتى خيل لآلهة الاولمب ان الجحيم قد تحول الى جنة غناء .

قال بلوتون لاورفه وقد اخذه الطرب وتناسى احزان الجحيم : كنت اود لو استبقيك في مملكتي فتعزف مثل هذه الالحان التي تذهب عن النفس همها المقيم ، ولكني وعدت جوبيتر ان اعيد اليك زوجتك ، واني لواف بما وعدت ، ولست بمقيدك الا بشرط واحد وهو ان لا تنظر الى اوريديس ما دمت في مملكتي ، فان فعلت فقدتها الى الابد .

فقبل اورفه هذا الشرط لانه لم يكن يشعر بالشوق الى رؤية زوجته ، ثم ودع بلوتون ويمم وجهه شطر الباب ، واوريديس تتبعه عن كثب ، وتناديه بشوق ، شاكرة له صنيعه الجميل . فقال الشاعر في سره : « لقد كنت هادئاً مطمئناً ، وها انا سأخضع من جديد لعبودية امرأة » . فصرخت



حتى خيل لالهة الاولمب ان الجحيم قد تحول الى جنة غناء

به اوريديس من خلفه : اورفه ، يا عزيزي ، يا زوجي المخلص ، انظر الي .

فلم يجبها بكلمة واحدة وعاد يقول لنفسه : « لن استطيع الخروج في المساء لرؤية الغروب ، ولن استطيع الغناء كلما

بدا لي ان اغني ، ولن استطيع نظم المراثي الشجية لان حبيبتي عادت الى الحياة » .

وكانت اوريديس تناديه باكية : ايها القاسي ، اما ترنو الي بنظرة واحدة ؟ اما تذكر اشعارك ومراثيك ؟ قف . قف . انظر الي مرة واحدة .

فلم يعرها اهتمامه وعاد يقول بصوت خافت : ها ان صراخها قد بدأ يصم اذني ، فليت شعري كيف اقضي حياتي مع امرأة مجنونة مثلها ؟ يا لتعاستي وبؤسي !

اما هي فلم تكف لحظة عن الصياح والنحيب : يا قاسي ! يا ناكر الجميل ! يا خائن العهد ! انظر الي . لمَ لا تنظر الي ؟

فقال لها وهو يتابع سيره الشاق :

ــ كوني عاقلة يا اوريديس . ان اله الجحيم نصحني ان لا انظر اليك في مملكته والا فانه يعود بك الى حيث كنت من العذاب . انتظري قليلا ، فلم يبق امامنا الا مسافة قصيرة دعينا نجتازها بسلام ، ثم انظر اليك بقدر ما تشائين فاني شديد الشوق الى رؤيتك .

فصرخت به : انت تكذب . انا اعرفك ايها الماكر ، انك تهزأ بي لانك لا تحب سوى فنك . قف ايها المنافق ،

لأحطمن قيثارتك وحق جوبيتر رب الارباب !

انهالت عليه بسيل من الشتائم ، واخذت تصرخ صراخا يصم الآذان . فلم يطق صبراً ، والتفت اليها محدقاً بوجهها ، فاذا بأيد خفية تجرها الى الوراء ، واذا بها تناديه :

ـ انقذني يا اورفه ، يا زوجي العزيز ، انهم يعودون بي الى الجحيم ، الي . . . الي . . .

فقال لها : هذا جزاء المرأة الثرثارة التي تغلق قلبها عن طاعة زوجها .

ومضى في طريقه الى ارض الاحياء ، وهو يبكي الزوجة التي فقدها مرتين ، باغانٍ حزينة رفعته الى مصاف الخالدين .

« اسطورة يونانية »

الحب

يحكى ان ملكة ولدت غلاما بالغ القبح . فحزنت لذلك حزناً شديداً ، ولكن جنية كانت تحبها وتغمرها بالخير العميم ، نال حزن الملكة من قلبها ، فقالت لها :

ـ سيكون لك العزاء عن دمامته بذكائه ، لانه سيغدو من رجاحة العقل وعمق التفكير بحيث لا يضارعه في ذلك احد . وسيكون له فوق ذلك قدرة على ان يمنح الانسان الذي يخصه بحبه ، مثل ما يملك من الذكاء ، مهما يكن ذلك الشخص المفضَّل غبياً مظلم الفؤاد .

وكبر الغلام فكان سخرية بين الغلمان ، يهزأ بـه رفاقه ويتضاحكون من قبحه ، حتى غلب عليه اسم « الدميم » . ولكنه كان ينأى عنهم ، ولا يشترك في العابهم ، بل يحضر مجالس الرجال ويختلف الى اندية الادباء والعلماء ، فيدهشهم برائع ذكائه واصالة تفكيره وطرافة حديثه ، حتى اصبح بذلك كله قبلة الانظار ، وتسامع بامره الرواة في البلاد القصية .

واتفق ان ولدت ملكة القطر المجاور ، فتـاة اجمل من

النهار ، فاستخف الملكة الطرب ولجّ بها السرور حتى كادت تفقد صوابها ، وكانت الجنية بين المدعوين فخشيت على الملكة وقالت لها :

— لا يزدهيك الطرب ويستخفك الفرح يا صاحبة الجلالة ، فان ابنتك ستكون غبية بلهاء بقدر ما هي جميلة بهية .

فانقلب سرور الملكة الى كآبة فادحة ، حتى كادت تصعق للنبأ ، وخشيت الجنية ان ينتهي بها الحزن الى حالة فاجعة فقالت لها :

— لا يشتد بك الحزن يا مولاتي ، فسيكون لابنتك مزية عظمى ، وهي ان تمنح الانسان الذي تخصه بحبها مثل ما تملك من الجمال ، مهما يكن ذلك الشخص المفضل قبيح الصورة دميم الخلقة .

وكبرت الفتاة فازداد جمالها وتضاعفت غباوتها ، وكان الناس يعجبون بحسنها ولكنهم ما يلبثون ان ينفروا منها ويبتعدوا عنها ، حين تتحدث اليهم باتفه الاحاديث واسخف المواضيع ، فهي مظلمة البصيرة بليدة الحس تكاد لا تعي قولا او تفقه معنى .

وذاع خبر الفتاة فانفضت من حولها صاحباتها ، وتخلى

عنها اصدقاء طفولتها ، وعاشت وحيدة بغيضة كئيبة ، تلوذ طوال ايامها في الغابة فتندب حظها العاثر ، وتكابد الشوق الملح الى الحياة السعيدة ...

وكان الامير الدميم قد سمع بجمال الاميرة واتى ليخطبها من ابيها . فسر لرؤيتها في الغابة واقبل عليها يحدثها فقالت له :

— دعني في عزلتي فما اتيت الى هنا الا هرباً من الناس وتجنباً لرؤيتهم ، وما اظن الا انني خلقت للحزن والكآبة .

فاجابها الشاب الدميم : كيف يشكو من الحزن والكآبة ، ويؤثر العزلة والوحدة ، من له جمالك الذي لا يُضارع وفتنتك التي لا تبارى ! ان الجمال منحة عظيمة تغني صاحبها عن كل منحة اخرى ، وما كنت اظن ان الالم قد خلق الا لامثالي من الاشقياء الذين حرمتهم العناية الالهية تلك الهبة السامية وجعلتهم بين البشر اضحوكة للبشر !

— اما انا فاني لافضل ان اكون اقبح الناس وجهاً على ان يكون لي قليل من الذكاء والحساسية ، وخير لي ان اكون حيواناً يجوب آفاق الارض ويعيش مع السباع الضارية ، من ان اظل على هذه الحالة .

— اذا لم يكن لحزنك من سبب غير هذا الامر فاني قادر على ان اضع لالمك حداً .. اني املك القدرة على ان



وخير لي ان اكون حيواناً يجوب آفاق الارض . . .

افجّر في قلب الانسان الذي احب ينبوعاً من الذكاء ، واني لاؤثرك بحبي كله ، ولا اتردد في ان اخصك بهذه المنحة السامية ، اذا كنت تعديني ان تكوني رفيقة لحياتي .

فحارت الاميرة في امرها ورأى الامير ترددها فاردف :

ــ ليس من العجيب ان تترددي في الامر ، وانا امنحك هاما بكامله تفكرين فيه !

فرضيت الاميرة بذلك ، ووعدت بان تتزوجه آخر العام اذا منحها الذكاء . فقال الامير :

ــ ليكن لك الذكاء كله ، ولتكن لك رجاحة العقل وعمق التفكير .

وشاء الله .. فاحست الاميرة كأنها تخلق خلقاً جديداً ، وشعرت بالخواطر الجميلة والصور النبيلة ، تعمر قلبها وتفعم مخيلتها . وعادت الى القصر فاذهلت ابويها وادهشت اترابها ، بسرعة الادراك وتوقد الشعور وصفاء الحس .

واقبل الامراء والملوك يخطبونها من ابيها ، ولكنها رفضت كل طلب . لانها ما زالت تذكر وعدها للامير الدميم . وكانت تتألم لذلك الوعد الذي اخذته على نفسها ، فهي تشعر باستحالة زواجها من رجل يبالغ في الدمامة مثل هذا المبلغ .

وازف الموعد اخيراً ، فذهبت الاميرة الى الغابة لموافاة الامير في المكان المعين ، وما لبث ان اقبل وابتدرها بقوله :

ــ ها انا ذا واف بعهدي ايتها الاميرة ، وما اظن الا انك جئت لتفي بعهدك .

فاجابت الاميرة : اعترف لك يا صديقي بانني لم اأته في

هذا الامر الى قرار حاسم ، وما اخال اني استطيع القيام بما وعدت لان قبحك يقف حائلا دون ذلك .

— كيف ترجعين عن امر وعدت به ؟

— اني حائرة ، مترددة ، لا ادري ما افعل !

— أتنكرين من طبعي وخلقي شيئاً ، أم ان قبحي هو السبب الوحيد الذي يحول دون زواجنا ؟

— ان كل ما فيك جميل حبيب الا خلقتك المنكرة الشوهاء .

— لئن كان الامر كذلك ، فاني لجد سعيد ... لانه في ميسورك ان تجعليني اجمل الناس .

— وكيف استطيع ذلك ؟

— ان الجنية التي منحتني القدرة على ان امنح الانسان الذي احب مثل ما املك من الذكاء ، قد اعطتك القدرة على ان تهبي الانسان الذي تفضلين مثل ما تملكين من الجمال ..

— اذا كان الامر كما ذكرت ، فليس احب على قلبي من ان اراك اجمل الناس خلقاً واتمهم تكويناً .

ما كادت الاميرة تلفظ هذه الكلمات ، حتى بدا الامير لعينيها في جمال رائع . فوعدته بان تتخذه زوجا اذا وافق ابوها على ذلك ...

ورضي الملك بالامير صهراً له ، لما اشتهر بـه من ذكاء نادر . وتمت حفلة العرس في مهرجان شائق .

وقال قوم ان تلك المنحة الخارقة التي وهبتها الجنية للاميرين ، ليست الا خرافة اختلقها خيال الناس ، وان الحب هو القوة السحرية التي بدلت القبح الفائق الى جمال فائق ، وجعلت من الغباوة مثالا للذكاء .

« اسطورة فرنسية »

الثوب غير المنظور

كان احد الملوك مولعاً بالثياب الجديدة فلا يعنى الا بها ، تاركا امور المملكة للوزراء يسيرونها كما يشاؤون ، كأن الثياب الانيقة شغله الاوحد وغايته من الحياة .

قدم المدينة في احد الايام رجلان زعما انهما يخيطان الثياب بمهارة لا تضارع ، وان لديهما نولا يحيكان عليه قماشاً ليس له مثيل في جمال الوانه وبراعة نقوشه ، ولكن هذا القماش من الغرابة بمكان كبير ، اذ لا يراه الا الحكيم الذي اوتي رجاحة في العقل ورهافة في الاحساس ، اما الاغبياء والحمقى فانهم ينظرون اليه فلا يشاهدونه .

سر الملك لهذا الخبر ، واعتزم ان يرتدي ثوبا انيقاً من النسيج العجيب ، فيستطيع ان يميز بواسطته بين الاغبياء والاذكياء من افراد رعيته . وارسل في طلب الرجلين ، فأوصاهما ان يحيكا له قطعة فاخرة من ذلك النسيج . فابدى الرجلان رغبة شديدة في صنع الثوب المطلوب ، ولكنهما طلبا اجرة غالية ، لان النسيج السحري الذي اشتهرا بصنعه ،

يكلف نفقات كبيرة . فلم يضن الملك عليهما بالمال الوافر ، واوصاهما ببذل الجهد لاخراج الثوب بشكل يليق بملك عظيم الشأن .

اخذ الرجلان ذلك المبلغ الكبير من المال ، وذهبا الى منزلهما ضاحكين ، وبدلا من ان يبدأا العمل الذي وعدا بانجازه في اقرب وقت ، شرعا يلهوان بلعب الشطرنج ، لان قصة النسيج الذي لا يراه الا العقلاء والاذكياء، كانت قصة خرافية اختلقها الرجلان ليبتزا اموال الملك الساذج .

قال الملك لوزيره الاول بعد ايام ، وهو لا يشك في رجاحة عقله ، فكثيراً ما استنجد برأيه لحل معضلات الامور :

ـ اذهب الى بيت الرجلين فانظر ما صنعا بالنسيج ، وتثبت من جمال لونه وبراعة نقوشه .

فذهب كبير الوزراء مطمئناً الى انه اجدر الناس بالقيام بتلك المهمة ، لانه اوفرهم حكمة واسماهم رأياً . فلما دخل منزل الرجلين احتفيا بمقدمه ، واشارا الى نول منصوب في زاوية الغرفة ، وقالا له :

ـ انظر ما اجمل هذا النسيج ، وما ابهى هذه الالوان ، وما ادق هذه الخيوط !

فوقف كبير الوزراء حائراً دهشاً ، لانه لم يشاهد النسيج

الذي اشار اليه الرجلان ، ولا الالوان البهية التي تحدثا عنها ، ولا الخيوط الدقيقة الناعمة . أيشك في صحة نظره ، أم يشك في رجاحة عقله ، وهو الوزير الذي يدير المملكة ، ويحل مشكلاتها ، ويرجع الناس اليه في كل امر جليل ؟

حدق الوزير الاول في النول المنصوب مرة اخرى فلم يفز بطائل . لا ريب في انه لم يكن من رهافة الحس ، وحدة الذكاء ، كما كان يخيل اليه . ولكنه لم يشأ ان يعرف الرجلان تلك الحقيقة فيفتضح امره ويفقد منصبه ، ويغدو اضحوكة المجالس . فحدق في النول مرة اخرى ، وقال مثنياً على الرجلين :

ــ حقاً انه لنسيج دقيق الصنع ، رائع اللون ، بارع النقوش . فمتى ينتهي وتفصلان منه ثوباً للملك ؟

ــ قد يتأخر صنعه بضعة ايام اخر ، لانه عمل دقيق يستغرق منا وقتاً طويلا . انظر الى هذه الصورة الجميلة المنقوشة في وسطه ، والى هذه الورود الحمر تزين اطرافه ، والى هذا الطائر يهم بالتحليق في الفضاء !

فقال الوزير ، وقد ازداد ايمانه بغباوته لانه لم يرَ من ذلك كله شيئاً :

ــ حقاً انها لرسوم شائقة ، والوان موفقة ، ولا ريب

في ان الملك سيعجب بهذا النسيج الممتاز ، ويجزيكما عن عملكما خير الجزاء .

ــ اقترب يا حضرة الوزير ، والمس النسيج بيدك لتتحقق من قيمته .

فتقدم الوزير متردداً ، ومد يده الى حيث اشار الرجلان ، فلم تلمس يده شيئاً ، ولكنه قال معجباً :

ــ يا له من نسيج بديع ! انني لم اشهد في حياتي ما يضاهيه في الجمال والطيبة .

ــ ما دمت قد تحققت من ذلك يا معالي الوزير ، فاننا نلتمس منك ان تتوسط لنا عند الملك ليمدنا بمبلغ آخر من المال ، لان المقدار الذي اعطانا اياه لا يفي بتكاليف هذا النسيج الفاخر .

ــ انكما على حق فيما تطلبان ، فهذا النسيج يساوي اضعاف ما اعطي لكما من المال ، وانا اعدكما ان اقوم لدى الملك بهذه المهمة .

قال الوزير ذلك ثم ودعهما وذهب الى البلاط ، فدخل على الملك وروى له ان النسيج الذي اوصى عليه يكاد ينتهي ، وهو آية في دقة الصنع وجمال اللون ، ومن حق الرجلين ان ينالا مكافأة كبيرة على مهارتهما . فوعده الملك بان يعدهما

بمبلغ من المال . ثم عهد الى وزيره الثاني بايصال ذلك المبلغ الى الرجلين ، وطلب اليه ان يتثبت هو الآخر من جمال النسيج ، فلعله اعرف بهذا الامر .

ذهب الوزير الثاني الى منزل الحائكين ، فشاهدهما منصرفين الى حياكة النسيج المطلوب ، ولكنه ما كاد يرسل بصره الى النول الذي يعملان فيه ، حتى عجب للامر ، لانه لم يرَ نسيجاً ولا خيوطاً ، وانما شاهد نولا فارغاً ، وشاهد الرجلين مكبين على ذلك النول كأنهما يشدان خيوطاً ويربطان اخرى ، فوقف حائراً مذهولا ، لا يدري أفي عينيه غشاوة تمنعه من رؤية ما رآه الوزير الاول ، ام انه اقل من زميله علماً واضأل فهما ؟ واذا بالرجلين يهتفان به :

— ما للوزير حائر لا يتقدم لمشاهدة النسيج الذي اعجب به الوزير الاول ؟

قال الوزير الثاني في نفسه : « ما دام الوزير الاول قد شاهد النسيج واعجب به ، فهو حقيقة لا ريب فيها ، واذا كنت لا اراه فذلك دليل على غباوتي وجهلي . على اني لن ادع لاحد سبيلا للاطلاع على هذا الامر فتقل مهابتي في نفسه ويستهين بشأني . » ثم قال للرجلين :

— اني اتأمل النسيج من بعيد فهو غاية في الجمال .

ـ اتعجبك هذه الزهرة ؟ وما رأيك بهذا اللون الاخضر الى جانب اللون الاحمر ؟ وهل تسرك هذه النقوش الذهبية التي تزين حواشيه ؟

ـ انها غاية في الجمال !

قال الوزير ذلك وهو يكاد يحسب نفسه في حلم ، ثم دفع اليهما المال ، وغادرهما مسرعا ، خشية ان يفتضح امره . ولما دخل على الملك اطرى النسيج اطراء عظيما .

شاع امر النسيج السحري في المدينة كلها ، فلم يبق فيها رجل او امرأة الا اراد ان يراه . وكان كل امرىء يحسب انه أوتي من العقل والحكمة نصيباً موفوراً ، ويؤمن بانه سيشاهد النسيج ويتمتع بالنظر الى رسومه الشائقة ، اما رفاقه وجيرانه فانهم سيحرمون تلك المتعة ، لانهم حرموا رجاحة العقل واصالة الرأي .

وفيما الناس مجتمعون يوما في بلاط الملك ، اقبل الحائكان وهما يحملان صناديق كبيرة ، زعما انها تحتوي النسيج الموهوم . فخف الملك لاستقبالها وقد احاط به رجال حاشيته والمقربون منه ، وكلهم في شوق ملح الى رؤية النسيج .

فتح الحائكان صناديقهما ، وتظاهرا بانهما يخرجان منها ثيابا ، ثم طلبا الى الملك ان يخلع ثيابه القديمة ، فلما فعل تقدما

منه والبساه الثياب السحرية الجديدة . ولقد كانت سحرية حقاً ، او كانت على الاصح ثيابا وهمية ، فلما ارتداها الملك ظل عاريا . ولكن الوزير الاول كان يريد ان يثبت للحاضرين رجاحة عقله ، فاخذ يصيح :

ـ يا لها من ثياب انيقة ! انك لم ترتدِ يا صاحب الجلالة حلة اجمل منها .

واراد الوزير الثاني ان يثبت للملك انه لا يقل عن زميله ذكاء وعلماً ، فهتف :

ـ ما اجمل هذا الثوب ، وما اشد اناقته ، وما ابهى لونه !

وكان بقية الوزراء ، ورجال الحاشية ، وافراد الرعية ، ينظرون الى ذلك المشهد حائرين ، لانهم لم يروا الثوب الذي يمتدحه الوزيران المعروفان بسداد رأيهما وبعد نظرهما ، ولم يشك كل منهم في انه هو وحده الغبي الذي لا يرى ما يراه الاخرون ، فصرخوا جميعاً :

ـ يا للبراعة ، يا للاناقة ، اننا لم نرَ في حياتنا ثوبا اجمل من هذا الثوب !

اما الملك فقد كاد يصرّح بانه لم يرَ ثوبا ، ولم يحس شيئاً على جسمه ، ولكنَّ اجماع الناس كلهم على انهم شاهدوا



وفيما الناس يهللون . . . والملك يروح ويجيء . . .

الثوب وأخذوا بجماله ، ارغمه هنيهة على السكوت ، ثم لم يجد بداً من مشايعتهم في رأيهم لئلا يثبت لهم انه الغبي الوحيد في المملكة التي تخضع لحكمه ، فاخذ يمتدح الثوب ويثني على الخياطين اوفر الثناء .

وفيما الناس يهللون فرحين ، ويكبرون صنيع الخياطين الماهرين ، والملك يروح ويجيء امام الجمع فخوراً مزهواً ، اذا بغلام في السابعة من عمره يتقدم من ابيه ، ويقول له باعلى صوته :

ــ اي ثوب تعنون يا ابي ؟ واي حلة تمتدحون ؟ فانا لا ارى على الملك لا ثوبا ولا حلة .

فاجابه ابوه : انك على حق يا بني ، فالملك لا يرتدي شيئاً .

واجترأ رجل ثان فقال : اني ارى رأيكما .

فقال ثالث : وانا ايضاً لا ارى الثوب الذي يشيدون بجماله .

وسرى هذا الرأي بين الجميع فما لبثوا ان هتفوا جميعاً :

ــ اين الثوب ؟ اين الثوب ؟ اننا لا نرى شيئاً .

وشجعت الملك هذه الكلمات فالتفت نحو وزيره الاول ، وقال له :

ــ لا اكتمك انني ارى رأي الاخرين في ان الثوب الذي تطرونه ليس الا خرافة خدعتنا بها ، وكنت انت اول المخدوعين والخادعين .

فاحمر وجه الوزير الاول خجلا وانسحب من القصر منكس الرأس كاسف البال . ومضى الوزير الثاني في طلب

الحائكين فلم يجد لها في المدينة أثراً . اما الملك فقد ارتدى ثيابه القديمة وتوارى في غرفته وهو يتعثر باذيال الخزي والعار .

« اسطورة انكليزية »

اللعبة والتمثال

كانت مرغريت فتاة جميلة يزين وجهها عينان زرقاوان واسعتان ، وشعر اسود كالليل . ولكنها كانت ذات نقيصة كبيرة ، فهي شديدة العناد ، اذا لم تسر الامور كما تحب ، استولى عليها الغضب وملأت البيت صياحاً .

ذات مساء ارغمها ابوها على ان تلزم فراشها باكراً لانها تشاجرت مع اخيها فردريك . فجلست على سريرها ويدها تعبث بشعر لعبتها ، ثم احتدم غيظها فجأة فألقت باللعبة الى المنضدة المدورة فتحطم انفها .

— انني لا احبك ... انني لا احب احداً .

قالت مرغريت ذلك ولاذت بفراشها .

وكانت اللعبة وديعة الطباع ، فلم تشكُ ولم تتذمر ، وظلت قابعة بهدوء في الركن الذي صارت اليه . وبعد ساعة دخلت المربية بالطفل فردريك فوضعته في سريره وذهبت .

« ما اشد تعاستي ! — قالت اللعبة عندما ايقنت من ان الطفلين قد ناما ، وانها تستطيع ان تتحدث كما تشاء — ألاني

لا احكي الا نادراً ، ولا اصرخ ابداً ، ولا اكسر شيئاً ، يحسب الناس انني لا افكر ولا احس ولا اتألم ؟ ألا ما اشد ضلالهم !

« حقاً انهم لفي ضلال ايتها الآنسة ـ قال التمثال النحاسي الذي وضعه فردريك في مكانه فوق العمود الخشبي بعد ان كاد يكسر عنقه بقسوته ـ يحسب الاطفال اننا لا نتألم لاننا لا نصرخ حين يقذفون بنا الى الارض ، او يسيئون معاملتنا ، او يسببون لنا كثيراً من الاذى . مع اننا نتألم كل الالم . انظري الى رأسي كيف انتزعه فردريك من مكانه !

ـ وانظر الى انفي كيف تحطم . أأعاني هذا لاني امتاز بشعر ذهبي ، وخدين ورديين ، وعينين تنفتحان وتنطبقان ؟

فقال التمثال وهو يصعد زفرة حارة :

ـ اني متأثر لما حدث لك ايتها الانسة . ولكن يستحيل علي ان اعزيك ، لاني لا استطيع ان اعيد اليك انفك المهشم ، كما لا تستطيعين ان تعيدي رأسي الى مكانه . فنحن لعبتان بائستان ، وسنظل هكذا طول الحياة .

« كلا ، كلا . . ـ قالت اللعبة بصوت ينم عن انها تخفي



— وانظر الى انفي كيف تحطم .

امرأ — لن اظل لعبة طوال حياتي ، وعسى ان يكون شأنك كشأني .

ولما ابدى التمثال النحاسي تعجبه ، استطردت اللعبة قائلة :

— أيسرك ان تسمع قصة حياتي ؟

ـ انا شغوف جداً بالحكايات ، ولا سيما اذا كانت واقعية .

فقالت اللعبة بحزن : ان قصتي واقعيـة واأسفاه . يخيل الي يا عزيزي انك لن تصدقني . ولكني اؤكد لك اني لم اكن منذ ولدت ، لعبـة ذات جسم من البورسلان ، وشعر من الحرير ، وعينين تنفتحان وتنطبقان . لقد كنت فتاة جميلة صغيرة ، وكنت اقطن منزلا جميلا صغيراً ، وكان لدي كثير من اللعب والتماثيل . ولكني كنت عنيدة كمرغريت ، خبيثة مثلها ، فكان اخوتي يتبرمون بي ، وكان ابواي يضيقان بصراخي . وذات مساء ارغمني ابواي على ان انام باكراً لانني قذفت بلعبتي المفضلة الى النـار . وفيما انا اتقلب قلقة على الفراش ، دخلت مخدعي جنية شمطاء ، وحولتني لعبـة صغيرة ، ثم قـالت لي وهي ترمقني بنظرات تشتعل غيظاً : ستظلين لعبة الى ان تعذبك احدى الفتيـات كما عذبت انت لعبتك . ولن تعودي الى هيئتك الحقيقية ، الا بعد ان تصبح تلك الفتاة مثالا للهدوء والرصانة .

فقال التمثال النحاسي ، وهو ينظر باشفاق الى انف اللعبة المهشم :

ـ يخيل الي ان القسم الاول من عقوبتك قد تم .

ـ نعم ، فمرغريت خبيثة ، وهي تعاملني كما كنت اعامل

لعبتي ، حتى لاخشى ان تجعلها الجنية لعبة صغيرة . فانا اعتقد يا عزيزي ان اللعب ليست الا بنات حقيقيات تحولن الى هذا الشكل لسوء معاملتهن لاخوتهن ورفاقهن ولعبهن .

ــ لعلك لا تعرفين ان التماثيل النحاسية كانت هي ايضاً اطفالا ، ثم مسخهم السحرة لاعمالهم الشريرة . لما كنت طفلا ، كنت احب الوثوب في حديقة المنزل وسيفي الخشبي في يدي احطم به اواني الزهر ، فسخني الساحر تمثالا من نحاس ، وقال لي : « انك لن تعود الى سيرتك الاولى ، الا اذا صار الغلام الذي يملكك مثالا للرصانة . » وكنت اعلق على هذه الكلمة آمالا كبيرة ، ولكن فردريك قد بعثني باعماله الطائشة على القنوط ، لانه لا يزداد على الايام الا خبثاً . ولذلك قلت لك الساعة « نحن لعبتان بائستان وسنظل هكذا طوال الحياة . »

ــ اما انا فانني لا ابقي لليأس سبيلا الى نفسي . ألم تلاحظ تقلب مرغريت في فراشها منذ اخذنا في الحديث ؟ انا موقنة من انها سمعت حديثنا ، لانها كثيرة القلق . لا ريب في انها تحسب نفسها حالمة ، ولكنها ستذكر في الصباح كل ما قلناه ، ولعلها تغدو عاقلة . اما فردريك فلا بد من ان يصير يوماً احسن الفتيان .

فقال التمثال وهو يتثاءب : مهما يكن من امر فانه لا يسعنا الا الصبر . ليلة سعيدة يا آنستي العزيزة ، فانا بحاجة الى النوم .

فقالت اللعبة وقد سرى النعاس الى اجفانها فاطبقت عينيها :

— ليلة سعيدة يا عزيزي .

وساد الصمت على الغرفة .

ولما افاقت مرغريت في الغداة ، انحنت على اخيها فردوبك واعادت على سمعه حديث اللعبة والتمثال . فاعتزم الطفلان ان يلتزما جانب الهدوء والرصانة . ولما ذهبت الام بعد ايام لتحضر اللعبة والتمثال من المخدع ، وجدت بدلا من اللعبة الصغيرة فتاة رائعة الجمال ، وفتى حلواً انيقاً مكان التمثال النحاسي . ولكن يا للدهشة : كانت الفتاة مهشمة الانف ، وكان رأس الفتى قد انعكس وضعه فاتجه وجهه الى الخلف .

« اسطورة المانية »

الراعي الطروب

كان يعيش في احدى القرى راع صغير دائم الفرح والبهجة ، شديد الميل الى الموسيقى ، لا يراه رفاقه الا ضاحكاً هازجاً كأنه في عيد لا ينتهي .

واتفق ان المدينة المجاورة اقامت معرضاً ضم كل جديد وطريف من وسائل التسلية ، فأمه الناس من كل صوب ، ووفد اليه الراعي مع ابناء قريته ، فأخذ يتنقل في اروقة المعرض مأخوذاً بما يرى من مظاهر الترف والوان الجمال .

وكان في احدى زوايا المدينة حانوت حافل بالالات الموسيقية ، فكان زوار المعرض يقصدون صاحبه الشاب ، ويشترون منه بضاعته بأثمان باهظة . فوقف الراعي امام الحانوت معجباً بالالات الجميلة ، مغتبطاً لما يرى من اقبال الناس على شرائها . ثم انتبه الى حانوت صغير يحتوي بعض الحاجات العتيقة ، وبضع آلات موسيقية قديمة لا يلتفت اليها الناس ، بالرغم من البؤس الذي يرتسم على ملامح صاحبها الكهل . فرثى الراعي لحال الرجل ، واقبل نحوه مرسلا

بصره الى داخل الحانوت لعله يجد فيه حاجة رخيصة يستطيع شراءهـا . واذا بالحانوتي العجوز يعرض عليه كمنجة قديمة متقطعة الاوتار ، ويطلب ليرة ذهبية ثمناً لها .

ليرة ذهبية ؟ مد الراعي الصغير يـده الى جيبـه فتلمس الليرة الذهبية التي لا يملك غيرها ، والتي ادخرها من اجرته في خمسة اعوام طويلة . وتساءل أيدفع هذا المبلغ الضخم من اجل كمنجة متقطعة الاوتار ، أم يبقيه لايام الشدائد ؟ ولكن تردده لم يطل ، ولم تلبث شفقته على الرجـل ، ورغبته في اقتناء الـكمنجة ، ان دفعتاه الى التضحية بالمبلغ الثمين ، فدفعه للرجل وتسلم منه الـكمنجة القديمة ، ثم عاد ادراجه الى القرية .

وفيما هو يرعى قطيعه في اليوم التالي ، حاول عبثاً اصلاح الكمنجة وربط اوتارها ، واستغرق ذلك العمل حواسه كلها ، فغفل عن القطيع الذي تفرق في شعاب الجبل . فلـما انتبه الى نفسه ، ورأى ان القطيع قد تفرق عنه ، خشي ان يعود الى القرية فيناله اصحاب القطيع بالعقاب الصارم ، فوضع كمنجته تحت ابطه وهام في القفر .

وبينما هو مستلق بعد ايام ، على ضفة وادٍ عميق ، وقد نال منه التعب منالا عظيما ، اذا بكهل يقبل نحوه وعلى

ظهره كيس ثقيل ينوء به ، فهرع الفتى اليه وحمل عنه الكيس ، وسار معه في طريق وعرة تملأها الصخور .

وكان الحمل فادحاً ، وظلمة الليل قد حجبت امامه معالم الطريق ، والبرد يلفح وجهه بقسوة حتى لتدمع عيناه ، ولكنه لم يبال بشيء من ذلك ، وظل مواصلا سيره الى جانب الكهل وهو ينشد اغنية قديمة تعلمها من امه .

وبعد مسير مجهد طويل ، وصل الرجلان الى مدينة قائمة في سفح الجبل ، فدخل الراعي الطروب كوخ الكهل الزري . ولم يكن هنالك سرير ينام عليه ، فاستلقى على الارض ، واستغرق في نوم عميق . ثم انتبه الى اصوات جميلة ترتفع من الغرفة المجاورة ، تتخللها اصوات دواليب اشبه بدواليب الغزل . فلما اصاخ السمع انقطعت تلك الاصوات فجأة ، فحسب نفسه حالماً وعاد الى نومه .

ونهض في الصباح فغادر الكوخ الى المدينة فاذا الناس منصرفون فيها الى اعمالهم ، ووجوههم حزينة مقطبة . فاخذ يطوف من مكان الى آخر ، ومن شارع الى شارع ، فلا يرى الا وجوهاً علاها الشحوب ، وشفاهاً لا تعرف الابتسام ، ولا يسمع صوتاً ينم عن البهجة . فعجب لهذه المدينة الصامتة ، ودهش لهؤلاء الناس العابسين ، لا يعرفون من الحياة الا

العمل المتواصل ، مع ان ملابسهم ومنازلهم كانت تدل على انهم يتمتعون بالغنى المفرط .

ولما عاد الى الكوخ في المساء سأل صاحبه عن الملاهي التي يتلهى بها اهل المدينة من عناء الاعمال ، فاجابه غاضباً :

— نحن لا نعرف للهو معنى ، لان ملكة هذه المدينة حزينة ، وقد حرّم الاهالي الفرح على نفوسهم مجاراة لمليكتهم .

فنام الراعي دهشاً قلقاً ، ولكنه ما لبث ان استيقظ اذ تعالت من الغرفة المجاورة الاصوات الجميلة التي سمعها في الليلة الفائتة ، ثم عاد الى نومه وقد حسب نفسه حالماً ، لان المدينة الحزينة قد حرمت على نفسها الغناء والبهجة .

وما اشرق الصبح حتى عاد الراعي الشاب الى طوافه في احياء المدينة ، فرأى قصراً شاهقاً جلست في حديقته امرأة انيقة الثياب متجلية بالمجوهرات الثمينة ، وقد انصرفت الى التطريز انصرافاً شغلها عن التمتع بجمال الطبيعة . فسأل عنها احد المارين ، فقال له انها الملكة الحزينة . ولما سأل عن قصتها ، قيل له انها كانت تدعى في صغرها الملكة الفرحة ، وكانت المدينة سعيدة لسعادتها ، والجنيات يغنين في الوادي ويغزلن خيوطهن الفضية والذهبية في ضوء القمر . ثم غضبت الجنيات على الملكة فحرّمن على الفرح ان يدخل قلبها ،

وحزنت المدينة لحزن الملكة فساد فيها اليأس القاتم والهم المقيم .

فقال الراعي في سره : « لو ان لكمنجتي اوتاراً لقهرت هذا الحزن ، واذعت الفرح في المدينة » . ثم عاد الى الكوخ لينام ، وما كاد يغمض عينيه حتى سمع الاصوات الجميلة التي اعتاد ان يسمعها في الليلتين الماضيتين ، فعجب من ذلك اشد العجب ، ونهض فنظر من خصاص الباب الى الغرفة المجاورة ، فاذا بفتيات جميلات يغنين باصوات رائعة ، ويغزلن في ضوء القمر خيوطاً من الذهب والفضة . فلم يتردد في الدخول عليهن ، والقول لهن :

ـ ايتها الصبايا الحسان ، تصدقن على راعٍ فقير بخيوط من صنعكن ليستبدل بها اوتار كمنجته المتقطعة .

فقالت الصبايا : منذ سنوات ونحن نغزل خيوطنا في ضوء القمر ، ولا يجرؤ احد على الدنو من هـذا البيت المهجور خشية ان يحل به غضب الجنيات ، فكيف تجرأت انت على اقتحام عزلتنا ؟

ـ انا راع فقير احب الموسيقى ، وقد سحرتني اصواتكن فلم استطع مقاومة الرغبة الملحة التي قامت في نفسي لرؤيتكن .

ـ أليس الفرح محرّماً على ابناء هذه المدينة ؟ فكيف

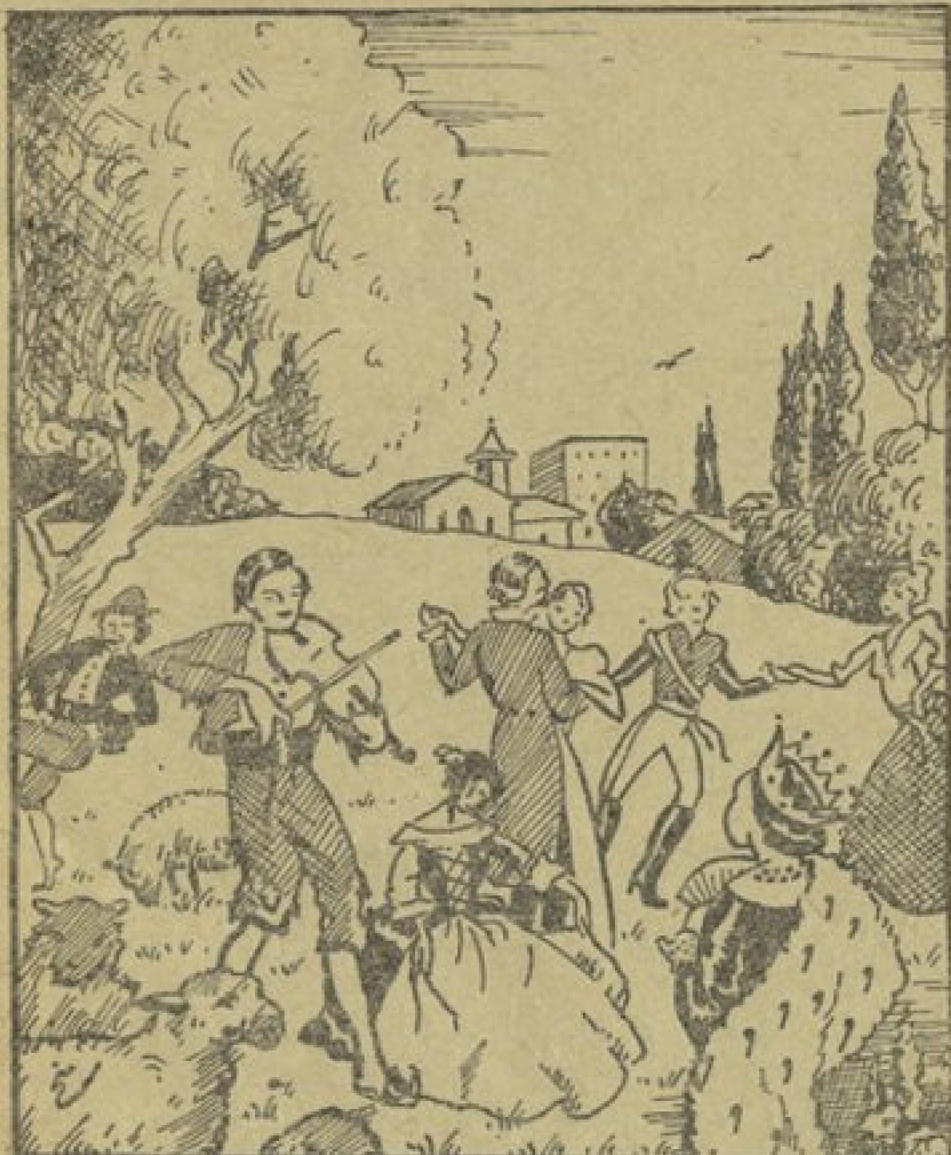
تسمح لنفسك بالاصغاء الى اصوات الجنيات اللواتي غضبن على الملكة ؟

— انا غريب عن هذه المدينة العابسة . انا احب الفرح وابغض الحزن والهم . تصدقن عليّ باوتار لكمنجتي فاسمعكن من عزفي عجباً .

— سنهبك من الاوتار ما تريد ، فاذا كان عزفك من البراعة كما وصفت غفرنا لك تدنيس حرمة الجنيات ، واذا كنت كاذباً فسيكون الموت جزاءك .

واعطينه اوتاراً ذهبية عقدها بكمنجته وشرع يمر عليها قوسه برفق ، فاذا بالانغام تتعالى في صمت الليل شجية رائعة ، واذا بالصبايا الحسان يرقصن حوله ويرافقنه باصواتهن العذبة ، فيرجّع الوادي صدى النشيد الجميل ، ويحمله النسيم الى المدينة فيستيقظ الناس من نومهم مأخوذين ، ويهرعون الى الكوخ المهجور وفي طليعتهم الملكة الحزينة التي اثر فيها الغناء تأثيراً عظيماً فاخذت تهلل وترقص كالاطفال . ثم التفوا حول الراعي مسحورين بالنغم ، وشاركوا الجنيات في غنائهن ورقصهن ومرحهن .

وهكذا عاد الفرح الى بلاد الملكة الحزينة التي شكرت



ثم التفوا حول الراعي مسحورين بالنغم . . .

للراعي حسن صنيعه ، وغمرته بالهبات السنية .

« أسطورة إيطالية »

الزنبق المضيء

أرأيت الى الزنابق تقوم على ضفاف الانهار والغدران ، فتعطر الجو بأريجها ، وتبهج العين بمنظرها ، وتضرب بها الامثال في الصفاء والطهر ؟ ان لتلك الزنابق اسطورة جميلة جاءتنا من اليابان ، حيث الهواء الرقيق والبحر العميق والسماء الزرقاء الصافية .

كانت شانغ تاي كوي تفكر في غرفتها المشرفة على الغابة . شانغ تاي كوي ! ألا ما اجمله من اسم ! انه ليعني في اليابانية « زهرة الخوخ » وقد استحقته صاحبته ، بشفتيها الورديتين وعينيها السوداوين وشعرها الغزير المتموج .

ولكن « زهرة الخوخ » حزينة حتى الموت ، لان خطيبها تسيان ليو مريض مشرف ، وهي تريد ان تنقذه ، وتتمنى لو تفتديه بحياتها . وكثيراً ما توسلت الى الاله فو ان يحقق تلك الامنية ، فيأخذها الى جنته ويبقى تسيان ليو في قيد الحياة .

قدم الكاهن لوسان رسول الاله فو ، وقال ان هناك

وسيلة لانقاذ الفتى : ينبغي لصبية في السادسة عشرة من عمرها ان تذهب هـذه الليلة الى « القصر المظلم » في طلب الطلسم الذي ابقـاه الله للبشر حين زار الارض في قـديم الازمان . ولكن القصر المظلم بعيد، وثمة تنين هائل يحرس الطلسم المقدس ، ودون الوصول اليـه اهوال شداد . فمن هي الفتاة التي تقدم على تلك المغامرة الخطيرة ؟

فهمت « زهرة الخوخ » ما يعنيه الكاهن ، واقسمت ان تنقـذ الفتى من براثن الموت ، فكفت عن الحزن والبكاء ، واخذت تنتظر دنو الليل بصبر فارغ ، وترسل انظارها الى الافق الذي صبغته الشمس الغاربة باشعتها الارجوانية ، لترى « القصر المظلم » الذي يبدو من بعيد كأنـه وحش رابض من وحوش الاساطير .

غابت الشمس وراء القصر الجبار ، واخذ الليل يهبط على العالم ، وتعالت في ذلك السكون تنهدات تسيان ليو المحتضر . فغادرت « زهرة الخوخ » منزلها ، وقـد القت على كتفيهـا وشاحها الاحمر ، ومضت الى مهمتها بقدم ثابتة . وما كادت تبلغ قلب الغابة السوداء ، حتى تراءت لهـا اشباح مرعبة ، واتصلت بمسامعها اصوات الجن والمردة . فخفق قلبها خفقاناً شديداً ، واخذت تردد انفاساً متقطعة لاهثة ، ولكنها لم

تتوقف لحظة عن المسير نحو الواجب الذي اقسمت ان تقوم به او تموت دونه .

وكانت الظلمة تتكاثف ، فلما دنت من القصر المخيف ، لم تر غير عيني التنين تلمعان كنجمتين متقدتين . وكان الكاهن قد اشار عليها بان تسلك طريقاً ملتوية خفية تفضي بها الى القصر دون ان يشعر بها الوحش . ولكن كيف تهتدي الى تلك الطريق في هذه الظلمة الحالكة ؟

ركعت الفتاة على ركبتيها ، واخذت تردد صلاة حارة :

— يا اله آبائي ، ايها الاله فو العظيم ، اني اكاد اموت ، وليس في موتي اي خسارة على العالم ، ولكن حياة تسيان ليو متوقفة على نجاحي في مهمتي ، وان حياة هذا الشاب لغالية لانه يعول اسرة كبيرة فاذا مات قضت من الحزن والجوع .

« ايها الاله فو . انر طريقي لابلغ القصر واحظى بالطلسم المقدس الذي ابقيته للبشر حين زرت الارض في قديم الازمان . . »

لم تكد « زهرة الخوخ » تتم صلاتها حتى اشتعلت على ضفة النهر الازرق مئات من القناديل الصغيرة . ولم تكن تلك القناديل الا زهور الزنبق نثرها الله في طريق الفتاة ،



لانها لم تكن تسير خطوة الا اشتعلت امامها زنبقة جديدة

فسارت على نورها ، ودخلت القصر دون ان تثير انتباه التنين ، ثم عادت بالطلسم المقدس ، ويممت وجهها شطر المنزل . ولم تكابد هذه المرة عناء او مشقة ، لانها لم تكن تسير خطوة الا اشتعلت امامها زنبقة جديدة بددت من

حولها الظلمات .

ولما وضع الكاهن الطلسم على جبين تسيان ليو وعادت اليه الحياة ، شكر لحطيبته اخلاصها وقدر جرأتها وتضحيتها . ثم اطل من النافذة فشاهد الزهور الجميلة التي لم تكن تزين ضفة النهر من قبل ، فاعجب بها اعجاباً شديداً ، وما لبث ان صنع منها طاقة جميلة قدمها لـ « زهرة الخوخ » يوم الزفاف .

« اسطورة يابانية »

البيت المسكون

كان في مدينة مصر تاجر يدعى حسن المصري ، وقد رزقه الله ولداً معتدل القد ، مورد الخد ، ذا بهاء وبهجة وجمال ، فسماه علي المصري ، وعلمه جميع العلوم .

واتفق ان التاجر وقع فريسة مرض شديد . فلما ايقن بالموت احضر ولده وقال له :

ــ يا ولدي : ان الدنيا فانية والآخرة باقية وكل نفس ذائقة الموت . فلا تزل على تقوى الله الى ان تلقى وجهه . وان لم تلزم جانب الفضائل وتعمل بمكارم الاخلاق تعانِ كثيراً من المتاعب وتندم على ما فرّطت في وصيتي .

فقال الابن : ان طاعتك فرض ، وسماع قولك علي واجب .

ــ يا ولدي : اني خلفت لك مالا لا يحصى ، فلا يثنك المال عن فعل الخيرات ، وبذل المعروف ، وصحبة اهل الصلاح . وعليك بالرحمة نحو الفقراء والمساكين ، وتجنب الشحّ والبخل وصحبة الاشرار ، وانظر الى خدمك وعيالك

بالرأفة .

وما زال يوصيه ويبكي حتى جاء اجله فقال لولده :

ـ ادنُ مني يا ولدي .

فلما دنا منه قبله وشهق . ففارقت روحه جسده .

لم يزل علي المصري في قراءته وعبادته وحزنه مدة من الزمان حتى دخل عليه بعض اقرانه من اولاد التجار ، وصاروا يزينون له ان يخرج معهم الى السوق . فوافقهم على ذلك بعد الحاح شديد . وخرج معهم من البيت . فقالوا له :

ـ اركب بغلتك وتوجه بنا الى احد البساتين ليذهب عنك الحزن .

فركب بغلته ، واخذ عبده معه . وتوجه معهم الى البستان الذي قصدوه .

فلما كان اليوم الثاني جاؤوا اليه وقالوا :

ـ قم بنا .

ـ الى اين ؟

ـ الى البستان الفلاني ، فانه احسن من الاول وانزه .

فركب وتوجه معهم الى البستان الذي قصدوه . فلما كان وقت الغداء احضروا معه الخمر . فاكلوا وشربوا . ولم يزالوا يحسّنون له الخمر حتى غلبوه على امره فشرب معهم .

واستمروا في حديث وشرب الى آخر النهـار . ثم توجهوا الى منازلهم .

ودخل علي المصري على زوجته وهو يترنح من السكر ، فقالت له : ما بالك متغيراً ؟

— كنا في حظ وانبساط . ولكن بعض اصحابنـا جاء لنا بمـاء ، فشرب اصحابي وشربت معهم ، فحصلت لي هذه الدوخة .

— أنسيت وصية والدك ، وفعلت ما نهاك عنه من معاشرة اصحاب الشبهات ؟

— ان هؤلاء من اولاد التجار ، وليسوا اصحاب شبهات ، وانما هم اصحاب حظ وانشراح .

وما زال كل يوم مع اصحابه على هذه الحال ، يتوجهون الى محل بعد محل ، وهم في اكل وشرب ، الى ان قالوا له :

— لقد انتهى دورنا وجاء دورك .

— اهلا وسهلا ومرحباً .

ولما اصبح احضر اضعاف ما احضروه من المأكل والمشرب . واخـذ معه الطباخين والفراشين ، وتوجهوا الى الروضة . ومكثوا هنالك شهراً كاملا .

فلما مضى الشهر رأى انه قد انفق مقداراً كبيراً من

المال . فقال له احد رفاقه :

ــ لو انفقت كل يوم قدر الذي انفقته في شهر لم ينقص مالك .

فلم يبالِ بانفاق المال ، واستمر على هذه الحال مدة ثلاث سنوات . وزوجته تنصحه وتذكره بوصية والده ، فلا يسمع كلامها . الى ان نفد المال الذي كان عنده . فصار يأخذ من الجواهر ويبيع وينفق اثمانها ، الى ان انفدها . ثم اخذ في بيع البيوت والعقارات حتى لم يبقَ منها شيء . فلما نفدت صار يبيع من الضياع والبساتين واحداً بعد واحد ، الى ان ذهبت جميعها . ولم يبق عنده شيء يملكه الا البيت الذي هو فيه . فصار يقلع رخامه واخشابه ، ويتصرف بها الى ان افناها كلها . ونظر في نفسه ، فلم يجد عنده شيئاً ينفقه ، فباع البيت وتصرف بثمنه .

ثم جاءه الذي اشترى منه البيت وقال له :

ــ انظر لك محلا ، فاني في حاجة الى بيتي .

فنظر في نفسه ، فرأى انه لم يبق له ولعياله حيلة للمعاش . وكان الله قد رزقه ولداً وبنتاً . فاخذ له منزلا متهدماً في بعض الاحياء الفقيرة ، وسكن فيه . فقالت له زوجته :

ــ من هذا كنت احذرك واقول لك : احفظ وصية

والدك ، فلم تسمع قولي . فلا حول ولا قوة الا بالله .
ومن اين يأكل الاولاد الصغار ؟ فقم وطف على اصحابك
اولاد التجار ، لعلهم يعطونك شيئاً تتقوّت به في هذا اليوم .

فقام وتوجه الى اصحابه واحداً بعد واحد . فكان كل
من توجه اليه منهم يواري وجهه عنه ، ويسمعه ما يكره من
الكلام . ولم يعطه احد منهم شيئاً . فرجع الى زوجته
وقال لها :

— لم يعطوني شيئاً .

فذهبت الزوجة الى امرأة صالحة وان لم تكن من ذوي
اليسار لتطلب منها شيئاً يتقوتون به في ذلك اليوم . فلما رأت
المرأة حالها قالت لها :

— ما الذي اصابكم ؟

فحكت لها جميع ما كان من زوجها . فقالت لها :

— مرحباً بك . اطلبي مني جميع ما تحتاجين اليه من
غير مقابل .

— جزاكِ الله خيراً .

ثم اعطتها ما يكفيها هي وعيالها مؤنة شهر كامل . فلما
رآها زوجها بكى وقال لها :

— من اين لك هذا ؟

فاخبرته بما كان من امر جارتها فحمد الله على احسانه واخذ يثيب اليه تعالى ويسأله ان يغفر ذنبه ويقيل عثرته . ثم قال لزوجته :

— انا متوجه الى محل اقصده لعل الله يفرج عنا .

وبعد ان ودعها وقبّل اولاده خرج دون ان يعرف الى اين يقصد . وما زال ماشياً حتى وصل الى بولاق ، فرأى مركباً مسافراً الى دمياط . وابصره رجل كانت بينه وبين ابيه صحبة ، فسلم عليه وقال له :

— اين تريد ؟

— اريد دمياط فان لي اصحاباً اسأل عنهم وازورهم .

فاخذه الرجل الى بيته واكرمه وعمل له زاداً واعطاه شيئاً من الدنانير وانزله في المركب المتوجه الى دمياط . فلما بلغها رآه رجل من التجار فاشفق عليه ، واخذه الى منزله . فمكث عنده مدة ثم قال في نفسه : « الى متى هذا القعود في بيوت النـاس ؟ » وفيما هو يسير في ظاهر المدينة ، رأى قافلة مسافرة الى الشام ، فسافر معها حتى وصل الى دمشق . فاقام مدة في بيت تاجر كريم ، ثم رأى قافلة متوجهة الى بغداد ، فسافر معها . ولما اشرفت القافلة على بغداد ، هاجتها جماعة من قطاع الطريق ، فلم ينج من المسافرين الا القليل .

فسار كل واحد منهم ينشد محلا يأوي اليه . اما علي المصري فوصل الى بغداد عند غروب الشمس ، ولكنه لم يبلغ المدينة حتى رأى البوابين قد اقفلوا الباب . فقال لهم :

ـــ انا رجل من مصر ومعي تجارة ، وبغال ، واحمال ، وعبيد ، وغلمان . وقد سبقتهم لانظر لي محلا اضع فيه تجارتي ، فاعترضتني جماعة من اللصوص اخذت بغلتي وحوائجي.

فاكرموه واضافوه ، ثم اخذوه في الصباح الى رجل من تجار بغداد ، وقصوا عليه حكايته ، فحسبه الرجل تاجراً كبيراً فاكرمه واحضر له بذلة انيقة ، ثم قال لاحد عبيده ان يطوف به على بعض البيوت التي يملكها ويسلمه مفتاح البيت الذي ينال اعجابه . فتوجه به العبد الى شارع فيه ثلاثة بيوت جديدة مقفلة . فلما طاف علي المصري اثنين منها ، قال له العبد :

ـــ اي البيتين اعجبك لاسلمك مفتاحه ؟

ـــ ولمن هذا البيت الكبير الثالث ؟

ـــ لنا ، ولكني لا استطيع ان اسلمك اياه لانه بيت تسكنه الجن ، ولم ينم فيه احد الا اصبح ميتاً .

فقال علي المصري للعبد :

ـــ افتحه لي لأشاهده .

وقال في نفسه : « هذا هو المطلوب . ابيت فيه فاصبح ميتاً ، وارتاح من الالام التي اكابدها . »

ففتح العبد البيت بعد تردد ، ودخله علي فاعجبه ، فقال للرجل :

ـ انا لا اختار الا هذا البيت فاعطني مفتاحه .

فابى العبد ان يسلمه المفتاح قبل ان يستشير التاجر في امره . فلما جاء التاجر اصر علي على تنفيذ رغبته ، فلم يجد الرجل بداً من الاذعان .

دخل علي البيت ، وطاف في غرفه الفاخرة ، فلما اقبل المساء سمع صوتاً يقول له :

ـ يا علي يا ابن حسن ، هل انزل عليك الذهب ؟

فقال له : انزله . . .

وما كاد يقول ذلك حتى انهال عليه الذهب من كوة في السقف فملأ جوانب القاعة . فقال له الصوت :

ـ اعتقني فقد اوصلت اليك امانتك .

فقال له علي المصري :

ـ استحلفك بالله ان تخبرني قصة هذا الذهب .

فقال له :

ـ ان هذا الذهب كان مرصوداً عليك من قديم الزمان .



وما كاد يقول ذلك حتى انهال عليه الذهب .

فكنت اقول لكل من دخل هذا البيت : يا علي يا ابن حسن هل أنزل الذهب ؟ فيخاف من كلامي ويصرخ : لا تنزله ـ فانزل واكسر رقبته . فلما جئت انت وقلت لي : « انزله » عرفت انك صاحبه ، فانزلته عليك . وبقي لك كنز في

بلاد اليمن ، فاذا سافرت واخذته كان ذلك اولى بك .
واريد منك ان تعتقني حتى اروح الى سبيلي .

فقال علي : والله لا اعتقك الا اذا اتيتني بالذهب من بلاد اليمن .

ــ وهل تعتقني بعد ذلك وتعتق خادم ذلك الكنز ؟

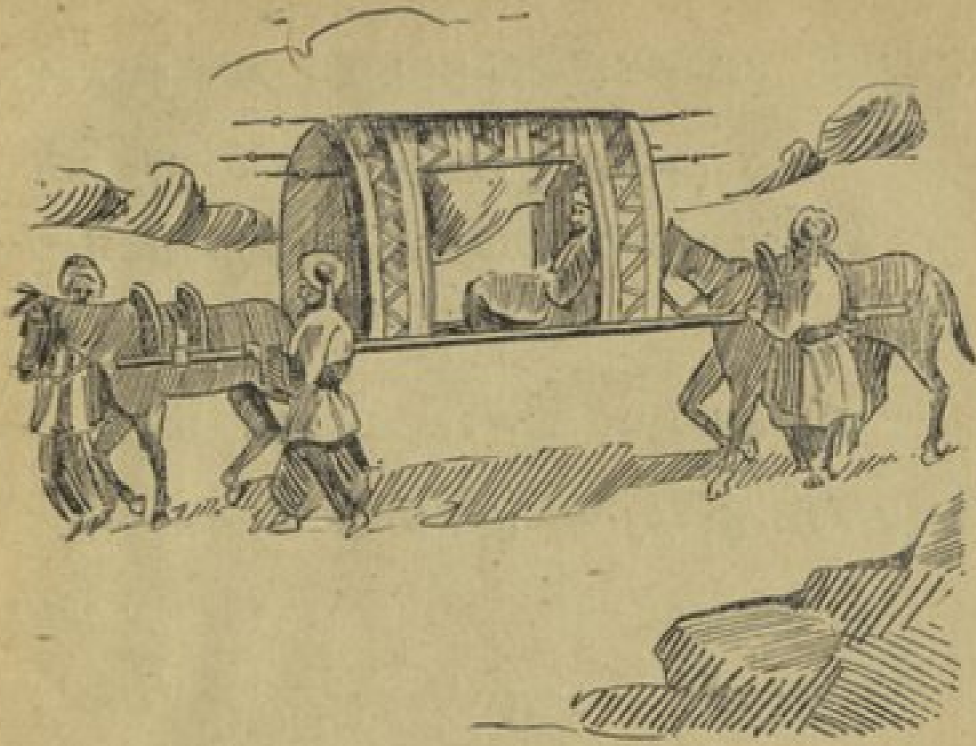
ــ نعم ... على ان تأتيني ايضاً بزوجتي واولادي من مصر .

ــ آتيك بهم مع الكنز في موكب عظيم .

فلما كان الصباح خرج الى المدينة فعجب الناس من بقائه على قيد الحياة ، وهنأوه على سلامته ، ثم اجتمع حوله التجار وسألوه متى تصل بضاعته ، فاجابهم : بعد ثلاثة ايام . فلم تنقض الايام الثلاثة حتى قدم خادم الكنز وقال له :

ــ لقد توجهت الى مصر فرأيت زوجتك واولادك في جوع وعري ، فحملتهم في تختروان فخم ، وجئت بهم مع الكنز في قافلة عظيمة ، فاسرع لاستقبالهم في ضواحي المدينة .

فخف علي المصري لاستقبال اهله وماله ، وتسامع الناس بقدوم القافلة فخرجوا لرؤيتها ، وما كادوا يشاهدونها حتى دهشوا لهذا الغنى العظيم ، وساروا معها في موكب حافل ، حتى بلغوا الدار المسكونة فادخلوا الى فنائها الصناديق



وجئت بهم مع الكنز في قافلة عظيمة . . .

والاحمال ، وكلها مفعم بالحلي والمجوهرات .

ما كاد علي يخلو بزوجته واولاده حتى اخذ يقبلهم ويضمهم الى صدره مستعبراً ، فسألته المرأة عن سر هذا الغنى المفاجئ ، فروى لها كل ما وقع له منذ خروجه من القاهرة عريان جائعاً ، الى دخوله بغداد ورؤيته الكنز . فسرت بذلك سروراً عظيما ، وقالت له :

— الحمد لله الذي آتاك الفرج وعوّض عليك باكثر مما ذهب منك . واياك ان تعود الى عشرة اصحاب السُّوء ، وعليك بتقوى الله في السر وفي العلانية .

اشترى علي المصري في اليوم التالي اعظم الحوانيت وملأها بأثمن البضاعة . وكان الملك قد سمع بخبره فارسل اليه رسولا يدعوه الى زيارته . فاعد له هدية رائعة من الجواهر لم تشهد العين لها مثيلا ، وذهب بها الى القصر . فلما مثل بين يديه قدم له الهدية العظيمة ، فتقبلها الملك جذلان شاكراً ، وقد دهش لما تحتويه من الجواهر النادرة . ثم احتفى بالتاجر احتفاء عظيما ، ورافقه مودعا الى باب القصر .

ما كاد علي المصري يغادر قصر الملك ، حتى استدعى هذا وزراءه وقال لهم :

ــ كم من الملوك خطب ابنتي ؟

ــ كثيرون .

ــ هل قدم لي احدهم مثل هذه الهدية ؟

ــ لا . لانه لا يوجد عند احد الملوك مثل هذه قط .

ــ اني اعتزمت ان ازوج ابنتي لولد هـذا التاجر ، فما تقولون ؟

ــ الامر كما ترى يا امير المؤمنين .

ثم اجتمع الملك بالملكة واخبرها بما كان فاستحسنت رأيه، وقالت له :

ــ الامر لله ولك يا ملك الزمان .

نزل الملك في صباح اليوم التالي الى الديوان، واستدعى التاجر علي المصري وجميع تجار بغداد، ثم استحضر قاضي المدينة وقال له بملء صوته :

ـ اكتب كتاب ابنتي على ولد التاجر علي المصري .

فاستعظم علي المصري الامر، فقال له الملك :

ـ لقد انعمت على ابنك بذلك، وعليك بالوزارة .

ثم امره ان يجلس على كرسي الوزارة . فلما فعل قال الملك للقاضي :

ـ اكتب كتاب ابنتي حسن الوجود على حسن ابن التاجر علي المصري .

فكتب القاضي الكتاب ، وتم الامر على احسن حال . وعاش علي المصري وزوجته واولاده في رغد عظيم وهناء مقيم .

« اسطورة عربية »

قصر الفول

كانت تعيش في احدى القرى ارملة فقيرة لا تملك غير حمار هزيل يستخدمه ابنها في نقل الحطب من الغابة المجاورة .

وكان الفتى يحب الفول حباً جماً ، ففيما هو عائد من الغابة يوماً ، اذا برجل يحمل سلة من الفول يمر به ويحييه ، ثم يقترح عليه ان يستبدل حماره بسلة الفول . فتنازل الفتى للرجل عن حماره ، وعاد الى المنزل فرحاً بسلة الفول . ولكنه ما كاد يطلع امه على تلك الصفقة حتى وبخته توبيخاً شديداً ، والقت بالفول الى الطريق للدلالة على غضبها . فبكى الفتى بكاء مراً ، ونام حزين القلب منقبض النفس .

فلما افاق في الصباح رأى ان حبات الفول قد نبتت على الطريق وصارت شجرة سحرية عالية ، فتسلقها الفتى طروباً ، وما زال ينتقل من غصن الى غصن ، حتى بلغ درجة عظيمة من العلو ، واذا بفروع الشجرة متصلة ببلاد مجهولة اخذ يجول فيها دهشاً ، ثم سمع امرأة مسنة تناديه باسمه وتقول له :

ـــ انا اعرفك ايها الفتى ، واعرف ان اباك كان رجلا

غنياً ، ولكن غولا جباراً قد قتله وسلبه امواله .

فقال لها الفتى : واين يقطن هذا الغول ؟

فدلته على قصر قريب ، فحث اليه خطاه وقد اعتزم ان يثأر لابيه ، واذا بامرأة قبيحة فتحت له الباب وسألته عما يريد ، فقال لها :

— انا ولد ضائع يا سيدتي ، فهل تقبلينني في منزلك حتى الصباح ؟

فاجابته : هذا بيت الغول يا ولدي ، فاذا رآك اكلك دون شفقة عليك .

— خبئيني في مكان خفي احتمي به حتى الصباح .

فقادته المرأة الى بهو القصر ، ثم جاءته بطعام شهي ما كاد يأكل منه كفايته حتى طرق الباب . فذعرت المرأة وخبأت الغلام في الخزانة ، ثم فتحت لزوجها وقدمت له طعامه ، فلما اتى عليه جميعه طلب اليها ان تأتيه بدجاجته المفضلة ، فحملت اليه المرأة دجاجة جميلة امسك الغول بها وقال لها :

— بيضي بيضة يا دجاجتي العزيزة .

فباضت الدجاجة بيضة ذهبية .

وكان الفتى يراقب الغول من ثقب الخزانة ، فلما نام

وزوجته خرج من مكمنه ، وحمل الدجاجة ، وعاد بها الى منزله ، ففرحت امه به وبالهدية الثمينة التي جاءها بها .

وبعد اسابيع معدودة ، بدا للفتى ان يزور قصر الغول مرة ثانية ، فتسلق اغصان الشجرة السحرية ، وقدم الى القصر فشكا للمرأة بؤسه ، وطلب اليها ان تؤويه الى الصباح. فقالت له انها ناقمة على البشر ، لأنها اضافت منذ اسابيع قليلة فتى بائساً ، فسرق دجاجة الغول المفضلة .

فانشأ الفتى يتوسل اليها ، وما زال بها حتى ادخلته واطعمته وخبأته في الخزانة . ثم قدم الغول حاملا كيساً من الذهب . فلما نام وسمع الفتى غطيطه ، خرج من الخزانة ، وحمل الكيس على ظهره ، وعاد به من حيث اتى .

وما هي الا ايام قليلة حتى عاوده الحنين الى زيارة القصر ، فتسلق اغصان الشجرة مرة اخرى ، وذهب يتوسل الى المرأة ان تقبله ضيفاً عليها ، فلم تصغ الى كلامه واغلقت الباب في وجهه . فتسلق سور القصر ، وجثم في النافذة ، ينظر منها الى ما يجري في الغرفة . فاذا الغول قد وضع على المائدة آلة موسيقية فاخذت تعزف الحاناً رائعة . فسر الفتى سروراً عظيما ، وما كاد الغول يغادر الغرفة الى مضجعه ، حتى بادر الى المائدة فتأبط الآلة الموسيقية وهمّ بالهرب .

ولكن الآلة الموسيقية كانت جنية ، فاخذت تصرخ باعلى صوتها : ياسيدي الغول ، ياسيدي الغول ، ان الفتى يريد ان يسرقني .

فهب الغول من نومه ولحق بالفتى وقد احتدم غضبه ، واقسم ان هو امسك به ليأكلنه دفعة واحدة . ولكن الغلام كان عدّاء بارعاً ، فاسرع في مغادرة القصر والانحدار على اغصان الشجرة السحرية ، والغول يتبعه مزمجراً . فلما وصل الفتى الى الارض ، هرع الى المنزل ، واتى بالفأس فقطع بها اصول الشجرة ، واذا بالغول يهوي الى الارض من ذلك العلو الشاهق فيتناثر ارباً ارباً .

فتنفس الولد الصعداء ، وعاد بغنيمته الى المنزل ، فاستقبلته امه مبتهجة . وسرى الخبر في القرى المجاورة ، فاعجب اهلها ببطولة القروي الصغير ، وابتهجوا بمقتل الغول الذي كان يعبث بامنهم ، ويروع طمأنينتهم ، ويفتك بالاطفال الضعفاء .

« اسطورة اسبانية »



ولكن الغلام كان عداء بارعاً ، فاسرع في الانحدار على اغصان الشجرة .

الفلاح المظلوم

كان احد الملاكين واقفاً امام بيته القائم على ضفة النهر، مرسلا بصره الى حقوله الفسيحة وقد بدت عليه علائم الكبر والخيلاء. فشاهد فلاحاً قادماً من ارض السخت ، ومعه حمار جميل نال اعجابه وتمنى ان يحصل عليه . فاحضر من الدار ثياباً ومدها على الطريق . ولما اقترب الفلاح صاح به :

ــ احذر ان تطأ ملابسي ايها السخيّ .

فاطاع الفلاح امر الملاك ، وسار بين المزروعات بضع خطوات ، ليتجنب المرور فوق الثياب المبسوطة على الطريق . فقال له الملاك :

ــ ويحك ! أتدوس قمحي ايها الابله ؟

ــ ألم تأمرني بان اتجنب المرور فوق ملابسك ؟ فاين اسير اذن ؟ ومع ذلك فقد كنت رفيقاً فلم اسبب لك ضرراً .

ــ ان حمارك قد اكل سنابل القمح ، وسآخذه عقاباً لك .

ــ أفتأخذ الحمار مقابل ملء فمه من السنابل ؟ هذا ظلم

ايها السيد .

ــ اياك ان تفتح فمك والا شكوتك الى الحاكم .

ــ انا لا استحق منك هذه المعاملة الجائرة ، فماذا يبقى لي اذا اخذت حماري ؟

فقال الملاك ساخراً :

ــ ألا تعرف المثل الذي يقول : ان الرجل الفقير لا يملك الا اسمه ؟ فاذا اخذت حمارك يبقى لك اسمك .

فاجاب الفلاح بسذاجة :

ــ انا افضل ان تأخذ اسمي وتبقي لي حماري لاني لا استطيع ان اعيش بدونه .

ــ لا ترفع صوتك ايها السخني والا ارسلتك الى عالم الصمت .

ــ ارسلني الى عالم الصمت اذا شئت ، فاني لن اكف عن الصراخ حتى ترد الي حماري .

فامر الملاك خدمه بضرب الفلاح ، فضربوه ضرباً موجعاً وألقوه على الطريق . ولما عاد الى رشده ذهب الى المدينة ، وشكا الملاك الى الحاكم . وكان فصيحاً بليغاً ، فسجنه الحاكم وذهب الى الملك يستشيره في امره ، فقال له الملك :

ــ اذا كان عذب الحديث كما تقول ، وكنت تريد

ان تصنع عملا يسرني ، فاسجنه واسمع شكاته كل يوم ، دون ان تجيبه على شيء منها ، ثم احضر لي كلماته مكتوبة على البردي لاقرأها ، فاني احب الكلمات الجميلة .

فعمل الحاكم باشارة الملك : سجن الفلاح وانشأ يستمع الى شكاويه كل يوم ثم يكتبها ويرسلها الى كاتب البلاط .

ولكن بالرغم من عذوبة الكلمات ، وجمال تركيبها ، كان الملك يحس انها تحز في قلبه كالسيوف الحادة . فما لبث ان ضاق بها فامر بقتل الفلاح السجين ليتخلص من شكاويه البليغة !

« اسطورة فرعونية »